

ويختفى مع نهايتها . فالمصادر الأدبية والتاريخية لا تروى له شعراً قبلها ، ولا تكاد تروى له شعراً بعدها ، وكأنما تفجر ينبوع الشعر على لسانه فجأة بعد مصرع أخيه ، ليملاً له كؤوس معركة الثأر ، ثم توقفت عن التدفق فجأة بعد أن أن نضبت هذه الكؤوس وأدركها الجفاف .

وفى أغلب الظن أن هذا كله غير صحيح ، فليس من الطبيعي أن يظهر المهلهل الشاعر فجأة ثم يختفى فجأة ، وبين ظهوره الفجائي واختفائه يقوم بهذا الدور الطليعي الرائد فى تاريخ الشعر العربى ، معلنا انتهاء عصر المقطوعة وبداية عصر القصيدة . وفى أغلب الظن أن شعر المهلهل قبل الحرب وبعدها قد ضاع نتيجة لإيغاله فى القدم ، أو نتيجة لاهتمام الرواة بشعره فى الحرب وتركيزهم عليه ، كما اهتموا بدوره فيها وركزوا عليه ، وكأنما ارتبط المهلهل الشاعر فى أذهان الناس بحرب البسوس . ومع ذلك فشعر المهلهل الذى وصل إلينا - حتى بعد تصفيته وتوثيقه - يعد وثيقة دقيقة لحرب البسوس ، وسجلاً كاملاً لكل أحداثها ، يرسم صورة تواكب الواقع التاريخى لهذه الحرب منذ أن لقي كليب مصرعه ، فأشعل نيرانها إلى أن انطفأت هذه النيران واختفى المهلهل من فوق المسرح مؤذناً بإسدال الستار وانتهاء المأساة ، ولكن مع شئ غير قليل من المبالغة والادعاء وتحسيم الأحداث عرف به المهلهل والحظه عليه النقاد ، وقديماً قال ابن سلام أنه كان يتكثر ويدعى فى قوله بأكثر من فعله ، وإن يكن الدكتور طه حسين يرى أن هذا التكثر وهذا الادعاء إنما كانا من عمل تغلب بعد الإسلام حين نحلته ما لم يقل .

ومن اليسير أن نقسم هذا الشعر إلى مجموعتين أساسيتين :

مجموعة تدور حول مصرع كليب وبكائه والتفجع عليه ، وتهديد قبيلته بكر التى لقي مصرعه على يد أحد أبنائها ، على نحو ما نرى فى هذه الأبيات التى يرثيه بها ، ويصور فجيعة ، بل فجيعة الدنيا كلها فيه ، مازجا ذلك بفخر عريض بقبيلته :